ترك قهوته وتحرك نحوها بخطوات واثقة..
خطوات وازت نظرة ودت لو تستطيع أن تركض مسرعة للخلف وتغلق باب سجنه عليها كافضل حل للهروب
ولكنها ببساطة تجمدت مكانها
أمر أول وانى خطوة:
- قاعدة رقم واحد.. أنا لا أحب الأسئلة, لهذا ابتلعي لسانك
وأمر ثانٍ لخطوة تالية:
- قاعدة رقم اثنان.. لا جدال, فقط تنفذين الأوامر
وثالث أمر مع آخر خطوة وكان صوته مهاجماً لإرتعاشتها الضعيفة:
- قاعدة رقم ثلاثة.. لن تخرجين من هنا سوى بإرداتي أنا, وكلمة آخرى سادفنك حية

شخابيط وردية
by justmero

الرهينة

رواية غربي

بقلم

مروة جمال

تدقيق لغوي

نهى طلبة

https://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia/

الفصل الأول

فقط على بعد ثلاث دقائق من مسرح دومينون وبعد أن تخطت السيارة السوداء متاجر أكسفورد دون أن تُفكر صاحبتها بالمرور عليها كما العادة, ترجلت منها وبخطوات محسوبة ورفيعة الساقين نحو أحد أهم عيادات الأطباء بمدينة لندن

عيادة نفسية!!

.....

لم تتصور "ميرندا واطسون" أن بداية يومها سيكون بِطلَّة شقراء تحمل عطراً فواحاً بنكهة الصندل وبتلات الزهور.. مائة وسبعون سنتيمتراً من الفتنة وقوام بدا ممتنعاً عن لفافة البيغل المحشوة في يدها والقهوة الكريمية مزدوجة النكهة..

كانت ميرندا هي المساعدة الأولى والأهم للطبيب "ريتشارد غرين" وهو الخمسيني الأشهر في العاصمة في مجال العلاج النفسي

وخاصة من رجال السياسة وصاحبي الأزمات الغير منتهية..

لم تكن نجمات السينما من المحببات لدى غرين فهو لا يحتمل هذا النحيب الناتج عن هروب منتج وفشل الوصول إلى الأوسكار!

هو ليس رجل الوصفات السحرية والمهدئات الكاذبة, هو ببساطة يعالج..

شعرت ميرندا أن تقييمها قد زاد لتلك الواقفة أمامها بثبات منشغل بأزرار هاتفها الجوال ورسائل نصية بدت مُتعجلة للغاية.. تنهدت

أخيراً لتنطق بإنجليزية راقية جداً ربما تحمل قرباً وثيقاً من العائلة المالكة:

- صباح الخير.. لدي موعد مع دكتور غرين.

ابتسمت ميرندا بترحيب فاتر وكأنها لا تصدق أن تلك المرأة التي ربما تكون نجمة مغمورة وجميلة جداً أو أنها عشيقة حالية لسياسي معروف, قد حصلت على موعد بالفعل من جدول رئيسها المزدحم والمتزمت جداً جداً.. بنبرة عملية وخالية من أي تأثر سألتها:

- الاسم لو سمحتِ؟..

- مادلين.. مادلين دون بيكر.

"دون بيكر"!

الاسم هو لأرقى بل ولأشهر صاحب محلات عطور في المملكة.. "بيكر لامونتيري" هو العجوز الذي قدم إلى لندن شاباً لا يمتلك من الأموال سوى حفنة لا تكفي لشراء قميص وأصبح بعدها بخمسة وعشرين عاماً أحد أباطرة السوق في تحفظ واضح على تاريخه من قِبل العائلة المالكة والحكومات المتتالية على حين..

لم يكن دون بيكر متزوجاً من امرأة صغيرة السن على حد علمها فمن أحد أسباب نجاح هذا الرجل أنه دون علاقات نسائية رخيصة, فقط زوجة سمينة واحدة اكتفى بها ولم تنجب له سوى فتاتين وابن مدلل..

لمعت عينا ميرندا مع الومضة التي تذكرت فيها أحد أشهر حفلات الزفاف في الأعوام السابقة على صحف المجلات والفضائح.. العابث أنطوان يتزوج بأحد مرشحات مسابقة جمال "مس لندن"

الفاتنة تصدرت صورها الصحف وهاجمتها صحف أخرى معتبرة أن ما حدث دعايا, واعتزلت الملكة قبل أن تترشح لفوز وسلمت كل مقاليد فتنتها لأنطوان المدلل.

رأس مثالي القياس وعينان زيتونيتان ورموش ثقيلة بالفطرة دون الحاجة لرتوش اصطناعية, أمالت رأسها نحو ميراندا لتكرر بهمس ساخر:

- هل انتهيتِ من تأملي أم أُحضر لكِ دفتر رسم وألوان مس ميرندا؟!

مس ميراندا!

يبدو أن تلك المرأة لم تحدد موعد مع الطبيب فقط بل تحفظ اسم مساعدته!..

ابتعلت ميراندا أفكارها مع ريقها بغضب وحبست لسانها على غير العادة لتضغط زراً بارزاً فوق مكتبها وترمق الزائرة بنظرة جادة وازت نبرة متحفظة للغاية:

- الدكتور غرين بانتظارك مدام دون بيكر.

وشددت على "دون بيكر" وكأنها تسخر.. فهاي هي العروس المحظوظة تهرع بعد ثلاث سنوات نحو عيادة نفسية.

****

لم يكن "ريتشارد غرين" هو المتحفظ الوحيد باختيار زبائنه, هي أيضاً ربما كانت أكثر حرصاً منه.. فعلى مدى ستة أشهر وهي تدرس الوجهة التي ستتشارك معها بأدق أسرارها, الأمر ليس سهلاً على امرأة مثلها.. على فتاة كانت بيومٍ ما بريئة حتى دخلت بإرادتها الحرة عُش أنطوان, استلقت فوق فراشه واغمضت عينيها ليلتها وليالٍ أخرى عن كل شيء..

بادلت كرامتها بحفنة من المال.. ودهست أنوثتها بقطع منتقاة من المجوهرات.. ومستمرة!

أخبروها من قبل أن عبث الرجل ميثاق فحولة!.. وأن المال يقطب كل جرح ممكن, وأن عذاب الضمير ربما سيء ولكن بأس الحاجة أسوأ.

وهي لم تكن من عائلة غنية أو حتى ميسورة.. وضربة الحظ جاءتها دون ترتيب من هوس مخرج مغمور بها فعل كل شيء لينال من قضمة العسل المتحركة, وآخرها كان عرض الإشتراك بالمسابقة الأشهر لتتركه وتترك المسابقة فقط بعد أشهر من مطاردة أنطوان لها.. وها هي الآن تجلس في عيادة نفسية بسببه!..

خطوتها الأولى نحو المكتب وازت اسم ريتشارد غرين الذي اصطدمت به مصادفة بأحد المجلات الطبية, والخطوة الثانية كانت مع تلك الشائعة التي قرأتها عن العازب الأشهر في لندن ووله مساعدته العذراء به, أما الخطوة الثالثة فكانت مع تأمل لهذا الرجل صاحب السمعة الأرقى, خيوط رفيعة من الشيب تخترق رأسه وبشرة نالتها بضعة خطوط راقية على جانب عينيه.. حاجبان ثقيلان وزوج هاديء من العيون ارتاحتا خلف عوينات طبية أنيقة.. أنف مدبب بعض الشيء وشفتين رفيعتين تتحدثان إنجليزية منكهة بحروف أمريكية متعثرة..

نعم فكل لكنة بريطانية تفشل مع تلك النغمات الرديئة من أصحاب العلم الأحمر.. وغرين أصوله الأمريكية معروفة للجميع وكأن لندن دوماً تستقطب النجاح للغير.

همس بنبرة خشنة طالما أعلمتها سر نجاح هذا الرجل.. فصوته هو بداية علاجية لا بأس بها على الإطلاق:

- تفضلي مس بيكر..

مع الخطوات الثلاث الأخيرة جلست بتأنٍ فوق المقعد الجلدي المقابل لتهمس بوضوح أبح

تعلم أنه يجبر كل رجل على النظر نحوها بدلاً من هذا الإنشغال المقصود بأوراقه:

- مدام.. أم أنك نسيت!

رفع وجهه ليهديها تلك الابتسامة الأروع التي اختبرتها جيداً وعلى مدى ثلاثة أشهر, وخلع عويناته ليقترب منها بعينيه وقد فاضت منها كل رغباته:

- قريباً جداً سننسى!

وفي لحظة كانت تنتظرها خلع سترته ليقترب منها بقبلة تلو أخرى وأخرى حتى تخلصت هي

من كل عبء ونسيج ممكن لتكون له تلك المرة وبمكتبه كما وعدته وبمجازفة مقصودة!!

لا تفهمه..

نعم هذا الطبيب الأعقل الأكثر حماقة على وجه الأرض لا تفهمه على الإطلاق... فقد توقعت خروج الضيفة المدللة فقط بعد بضعة دقائق من غرفته المنسقة, ولكن ها هو الوقت قد مر قرابة الساعة وطلب منها إلغاء الموعد القادم والخروج لاستراحة غداء!

ما هذا بحق الجحيم!!..

"رجال"!

تمتمتها بغيظ وهي تترك له المكان ناقمة, وكأنها نفس الطينة البالية التي تفقد كل ثبات أمام جمال امرأة..

كانت تلمح ملامحها خلف واجهة زجاجية لمتجر الطعام المقابل.. بشرة صافية وعينان بنيتان وجبهة مستعرضة يعلوها خصلات عسلية باهتة..

غداً ستحتفل بميلادها الخامس والعشرين وكالعادة وحيدة بأكثر الوظائف ملاً على وجه الأرض

"مساعدة ريتشارد غرين"

هه!

اثنتا عشر ساعة يومية من تلقي المكالمات واستقبال أصحاب المآسي وطرقات الجنون.. غرفة هادئة بجدران لا تمرر سوى الهمهمات وصحف صفراء تمتعها بصور ربما أكثر من الحروف وكوب قهوة تلو آخر واستراحة غداء يومية بنفس الطعام ومن نفس المتجر!!

- المعتاد مس واطسون؟

كانت قد استقرت على طاولة بالفعل لترمق قائمة الطعام دون اهتمام وتومئ برأسها للمراهق المنمش أمامها..

عادة هي تقضي هنا فترة الظهيرة.. تأكل بعض السلاطة الخضراء وشريحة من الدجاج المدخن لتعود أدراجها مع كوب مثلج من عصير الليمون لكليهما.. تلك الساعة في اليوم تكون الأفضل على الإطلاق, تخطو لتجد رئيسها مضجعاً فوق الأريكة الواسعة بمكتبه وقد تخلص بأريحية من ربطة عنقه وحل زر قميصه العلوي لتنفس أسهل, مغمض العينين وشاكياً هو تلك المرة من ضغط زبائنه وأوقاتاً

من حكايا تافهة لا تستحق ثمن العلاج النفسي الباهظ الذي يتقاضاه ولا يلبث بأن يُكمل ساخراً:

- ولكن هذا جيد بالنسبة لي..

الوجه الآخر لريتشارد غرين.. رجل حنون أحياناً مع بشر سوى زبائنه!! ابتسمت ساخرة وهي تدرك أنها ربما تمل الوظيفة ولكنها اعتادت ريتشارد, بتذمره الصباحي وقهوته الباردة مهما فعلت ومناداته لها بالقطة المنمشة,

مروة جمال

وحينها تحمر خجلاً وتتذكر كل شائعة حمقاء عن جنونها به ولا يعلم أحد أنها لا تراه سوى أمنية تفتقد أب!!

حركت رأسها في يأس لتبتاع الليمون وتعود أدراجها قبل موعدها المعتاد وداخلها تلك المرة فضولاً لا بأس به عن صاحبة الحكاية.. عن تلك التي كسرت قوانين ريتشارد غرين فهو عادة لا يستسيغ فترات علاج النساء مثلها وينهيها على عُجالة.

"حسناً.. هو صباح غريب منذ البداية"..

قالتها لنفسها وهي تتذكر كل حدس سيء هاجمها مع بداية اليوم وربما كان عليها أن تكترث أكثر بسطور حظها في الجريدة, وربما كان عليها أن تنصت لكل صوت خلف باب الغرفة, وربما كان من الأفضل أن تطرق الباب لا أن تدلف بأريحية قطة كما اعتادت وربما... وربما...

توقف كل شيء..

كل همس وكل فكرة..

وكل نفس!..

الشقراء منكمشة على الأريكة.. بملابسها الداخلية..

رجل في عقده الثالث.. فاقد الوعي ويمسك بمسدس..

ريتشارد ممدد على الأرض..

ومقتول!!

وصوت خشن خلف أذنها مباشرة:

- من أين جاءت تلك!!

وفجأة.. ظلام.

الفصل الثاني

الأرملة الجميلة

مادلين دون بيكر

القضية الأشهر..انهيار.. صحف وفضائح وثوب أسود رسمي وقصير جداً, ممتع للجميع..

ألا يستحق مكتب التحقيقات بعض المتعة!

كانت تبكي وتتذكر المآساة, هذا الزوج المنقوص الرجولة!..

احتملته لسنوات والآن يتهمها بالخيانة!

كان "إريك بالدوين" هو أحد أهم رجال سكوتلاند يارد.. والآن توكل إليه قضايا زوجية خائبة.. امرأة فاتنة تشكو من اضطراب زوجها بعيادة طبيب نفسي شهير وينتهي الأمر بمهاجمة الزوج لكليهما وقتل الطبيب المسكين..

والأهم..

الثروة!..

الأرملة ستحصل على جميع أموال أنطوان بموجب اتفاق ما قبل الزيجة وعلى تعويض لا بأس به من الإمبراطور بيكر إن أرادت..

شهقت مادلين مجدداً لتعيد سردها المؤلم:

- المسكين ريتشارد.. لقد فوجئت بأنطوان فوق رأسنا يهذي ويطلق الرصاص, الأحمق الغبي المريض بداء الشك.. لولا أنني ضربته على رأسه مدافعة لقتلني أيضاً.

وانهارت في نوبة بكاء جديدة.. واغماءة.. واستفاقه بعطره الرخيص...

الصحف والمجلات لم تتوقف عن محاكاة الجريمة ودون بيكر امتنع عن التعليق ويسعى لترتيب أوراق تخص مرض ابنه عله ينقذه من جدران السجن مدى الحياة... ومادلين تكرر الحكاية بين شهقات ونحيب وفقدان للوعي, والطبيب المسكين دفع ثمن هلاوس زوج ومساعدته اختفت!!

حتى الآن لا يستطيع إريك حل تلك الثغرة..

"ميرندا واطسون"..

عشرينية قدمت للعمل لدى غرين منذ ثلاث سنوات, عائلتها تعيش في مقاطعة كنت

وتقطن هي في شقة صغيرة على بعد ثلاث محطات مترو من مقر عملها.

ميرندا التي خرجت لتناول الغداء ولم تعد على حسب أقوال مادلين.. وغادرت المتجر مبكرة كما صرح الفتى العامل هناك, ويبقى السؤال الأهم..

أين ميرندا؟!

- لا تحاول أن تجعلها قضية مهمة إريك.. أم أنك تعوض خسارتك؟

الصوت نفسه.. مكرر ولزج وسمين بشارب برتقالي ورأس أصلع ونبرة شامتة على الدوام, "جورج ماستر" لا يجيد التفكير ولا الحديث..

لا يجيد شيء سوى الثرثرة وابتلاع الطعام, بكميات وفيرة!

زفر إريك متجنباً نفس العراك البائد على مدى آخر عامين.. جورج يتندر بالقضية الأشهر التي قللت من تقييم إريك وقدرته في نظر رؤساءه, بل عليه أن يحمد الله وطيبتهم وسجله المشرف الذي حال دون طرده شر طردة بعد أن كبد مكتب التحقيقات خسائر فادحة تُقدر

بمبلغ أربعة ملايين استرليني في خدعة هي الأسوأ على مدى تاريخ سكوتلاند يارد

والمذنب الحقيقي..

هارب!

والأدهى..

لقد كان شريكه..

جذب كوب قهوته النصف الفارغ ليبتسم لزميله وشريحة البيتزا بين يديه ابتسامة صفراء وعاد لأوراقه..

الشقراء والطبيب الخمسيني..

لا توجد علاقة ممكنة!.. "ريتشارد غرين" الرجل المثالي على حد قول الجميع.. متحفظ للغاية في علاقاته ولم يسبق له الزواج والنساء بعالمه بضع علاقات فاترة لا ترقى لشيء جدي، وفتاة صغيرة يتخذها كمساعدة وكلب بولدوج عجوز أضحى وحيداً دونه.

كل شيء مثالي للغاية.. مثير للغضب ومدمر لسمعة دون بيكر وابنه المدلل..

والفاتنة الشقراء ضحية..

وهو يؤمن بشيء واحد.. الجميلات مثلها لسن ضحايا!

وعلى شكل دوائر بدأ يخط حروفهم الأولى في أوراقه.. كل اكتمال تنقصه حلقة

هناك فراغ يجب أن يمتليء

الحلقة المفقودة

ميرندا

****

أريكة جلدية أصابتها بتعرق.. غرفة صلدة تبدو كسجن فدرالي رغم أنه مجرد منزل على أطراف لندن, رائحة دماء وريتشارد والشقراء وثقل هاجم رأسها...

شهقت بفزع مع استقامة مفاجئة أعطت بصرها تجول أوضح للمكان..

هي بالفعل ممددة ولكن ليست أريكة تلك المرة..

وكأن الغرفة الأولى هلاوس أو ربما مكان سابق!

كان الفراش دافيء بنكهة بنية والغرفة لها لون صندلي قاتم مع مصباح جانبي بضوء خافت للغاية ورغم هذا تشعر أنها بالنهار

ستائر ثقيلة تحيط بها وتخبيء الشمس.. أنفاسها متسارعة ولكن بحذر وحركت الغطاء لتكتشف أنها لا ترتدي سوى قميصاً رجالياً لا يخصها وسروالها الداخلي!

شهقتها الثانية كانت أقوى وهي ترمق ساقيها بذهول واكب ضوء شمس قاسٍ اقتحم الغرفة وذراعين فولاذيتين حركت الستائر.

- أخيراً!

وكانت نبرة متهكمة ولكنه نفس الصوت.. الخشونة المتسائلة بغضب عن ظهورها والتي وازت فقدانها للوعي..

جذبت الغطاء فوق جسدها مجدداً لتصرخ في الظل الواقف أمامها:

- من أنت؟.. وأين أنا بحق الجحيم؟

كانت خطواته تقترب ولكن وجهه لم يظهر بعد.. حتى أصبح على بعد خطوات من الفراش وحينها رأت ملامح مختطفها, وجه يكاد يكون

مربع وعينان قاسيتان وخضرواتان بتأثير قوي, أنف مستقيم وبشرة برونزية مع خصلات بنية وقصيرة للغاية..

وكأنه بالجيش أو ما شابه..

صدر عاري على سروال من خامة ثقيلة وقاسية ومتعرق بما يشبه قتال في حلبة مصارعة..

ابتلعت ريقها بفزع من صرامة ملامحه وهمست مجدداً بصوت أضعف:

- أين أنا؟

حرك شفتيه ببطء وبنفس الصوت الخشن الذي حفظته:

- في منزلي.

نظرت لملابسها وللغرفة ثم أردفت بتردد:

- هل خلعت ملابسي؟

حرك كتفيه في لا مبالاة:

- كنتِ متعرقة وتهذين بشدة.

استدار وبدا وكأنه سيتركها فصرخت على الفور:

- انتظر.. ماذا حدث؟.. وريت.. شار..د..؟

كانت تنطقها ببطء.. بحذر.. بخوف من مواجهة الحقيقة التي تتمناها حالياً ككابوس

استدار فجأة لينقض بسرعة فهد حتى كان أمام وجهها فوق الفراش وارتجفت مع كل همسة قاسية من شفتيه..

همسة واضحة..

وحروف لا تقبل جدال..

- استفيقي مس واطسون.. ريتشارد ميت.. وأنتِ محتجزة هنا, ولا تفكري في محاولة الفرار.

انكشمت مبتعدة عنه وقد تجمعت بعينيها كل عبرة كانت متجمدة بقلبها ربما منذ ولدت..

خوف.. بل فزع, رهبة اجتاحتها كما لم تختبر من قبل..

ملامحها هادئة وضعيفة للغاية

عادية إلى درجة الشفقة!

رمقها بازدراء ليترك الفراش ويخطو من جديد خارج الغرفة.. قبل أن تترك لجسدها حتى رفاهية الارتعاش أوقفها صوته بلهجة آمرة:

- ارتدي ملابسك.. وتناولي شيئاً من الطعام..

ثم أعطاها نصف استدارة ليبتسم بالتواء شيطاني:

- لا أنوي موتك اليوم!

وتركها وغادر..

****

الفصل الثالث

مع ارتداء ملابسها أصبحت تتذكر كل شيء بوضوح, مادلين دون بيكر والموعد الصباحي.. غداءها المبكر وعصير الليمون..

انتفضت وهي تسترجع مشهد جسد غرين على الأرض ونظرة مادلين الذاهلة نحوها ثم الصوت.

كان هو يقف قبالة ماكينة قهوة وقد وضع فوق كتفيه قميصاً بالياً لم يكترث بإغلاق أزراره, وعلى المائدة صحن مسطح به بعض البيض وشريحة من اللحم المقدد..

المنزل ليس كبيراً فكما يبدو أنها كانت بغرفة النوم الثانية, وهناك واحدة آخرى توازيها تماماً, وتلك غرفة المعيشة وعلى اليسار توجد أريكة جلدية واسعة يقابلها مدخل دورة المياه, وفي الجانب الآخر باب جانبي جرار وخلفه حديقة صغيرة ومغطاة بسقيفة حديدية متشابكة وتبدو كصالة تدريب وسط بقايا أزهار.

- من أنت؟

نطقتها بجرأة وتركت الغرفة لتقترب منه أكثر وهو ما زال يوليها ظهره:

- من أنتم؟.. ولمَ قتلتم ريتشارد؟

والسؤال الثاني غادرته الجرأة لتوازيه بحة, ستبكي حتماً ولكنها استدركت نفسها ليكون سؤالها الثالث قراراً:

- سأخرج من هنا!..

ومع خطواتها المتسارعة نحو لا شيء.. فهي لا ترى أي مخرج لهذا السجن جاءها صوته بنبرة مخيفة:

- توقفي مكانك.

ليستدير وبملامح جامدة يبدو وكأنها اختبرت الكثير:

- على اليمين طعامك.. لو كنتِ تودين العيش تناوليه, ولو كنتِ تودين الموت فقط حاولي الخروج من هنا.

نبرته الأخيرة كانت ساخرة أجبرتها على المرور ببصرها بدقة أكثر في المكان..

لا شيء..

لا مخرج..

مجرد حديقة بسياج علوي لا يكفي لمرور قطة!..

حتى السؤال الأهم بدا دون جواب..

كيف دخلت لتخرج؟!

ثنت شفتيها في يأس وحينها ترقرقت عيناها ببكاء:

- أرجوك.. دعني أرحل.. لن أخبر أحدا بما حدث.

لو حدثت معجزة وأصاب الجماد لعنة الشعور فربما ستتجاهل هذا الرجل.. لا شيء.. لا تعبير ولا رجفة عين!

ترك قهوته وتحرك نحوها بخطوات واثقة.. خطوات وازت نظرة ودت لو تستطيع أن تركض مسرعة للخلف وتغلق باب سجنه عليها كأفضل حل للهروب..

ولكنها ببساطة تجمدت مكانها..

أمر أول وازى خطوة:

- قاعدة رقم واحد.. أنا لا أحب الأسئلة, لهذا ابتلعي لسانك.

وأمر ثانٍ لخطوة تالية:

- قاعدة رقم اثنان.. لا جدال, فقط تنفذين الأوامر.

وثالث أمر مع آخر خطوة وكان صوته مهاجماً لارتعاشتها الضعيفة:

- قاعدة رقم ثلاثة.. لن تخرجي من هنا سوى بإرداتي أنا, وكلمة أخرى سأدفنك حية.

ثم تركها من بين غيظه وجز أسنانه ليخرج نحو حديقته ويقاتل كيس قطني أفرغ فيه غضبه, وانفجر معه ذعرها أكثر حتى أنها تركت الطعام لتجلس القرفصاء تراقب ظله

المتعارك وتبكي مجدداً دون أمل حتى غفت تلك المرة ولكن ليس بفعل ضربة..

غفت من الضعف.

****

من جديد استفاقت بخيالات مشوشة ومزدوجة.. مرة بمقر عملها ومرة أخرى بمنزل مجهول ورجل يختطفها..

والكوابيس لا تتكرر.. هي حقيقية..

ابتلعت ريقها وشعرت بالغثيان مع رائحة البيض المخترقة لأنفها وهو يهذر بغضب واضح:

- لستِ هنا لدلالك يا آنسة.. تناولي طعامك فكما أخبرتك لا أنوي موتك اليوم.

لم تستطع أن تمنع نفسها مع قوة الرائحة فوجدت نفسها تدفعه بضعف في محاولة يائسة للوصول لدورة المياه كي تفرغ ما في جعبتها, ولكن قدميها خانتها فسقطت أرضاً وقيئها كان لا شيء.. فقط معاناة غير محتملة لمعدتها, وحينها لم تشعر سوى

بذراعيه تمتدان تحت وركيها ليرفعها بسلاسة معيداً إياها من جديد للفراش ويأخذ الصحن ويرحل ليعود من جديد من شطيرة جبن وكوب من العصير أخذته منه لترتشفه بضعف

مع آخر قطرة جذب منها الكوب ليقرب وجهه نحوها مجتاحاً ملامحها بنظرة آمرة ولا تحتمل صبراً تلك المرة:

- قاعدة رقم أربعة.. كوني يقظة ربما تستطيعين الدفاع عن نفسك!

وتركها بملامح مذعورة وبوجه أصفر كعصير الليمون الذي ندمت على ابتياعه.

هي "ميرندا واطسون"

بأكثر الوظائف ملاءً على وجه الأرض

ولا تتمنى الآن سوى العودة إليها!.

****

الخطة كانت جيدة.. بل ممتازة, كل تفصيلة محسوبة.. كل خطوة وكلمة وقرار

حتى ظهرت حمقاء في غير موعدها!

كان صباحاً عادياً, تأنقت ووعدته بموعد حار في عيادته النفسية..

الطبيب الذي فقد وقاره أمام فتنتها ولم يستغرق منها الأمر سوى شهر لإيقاعه, وفي اللحظة المناسبة اختارت وقت التنفيذ.

وشاية متقنة في أذن أنطوان ستضمن بها جنونه ووصوله في ساعة محددة رتبتها بدقة..

سيناريو وجودها شبه عارية بين ذراعي طبيبها الوسيم, ولحظة فارقة كانت تحفظ فيها رد فعل أنطوان كما أنفاسها..

صدمة وطلقة وحينما يفكر في الاستدارة نحوها كان هو بالمرصاد

"جوش برينجتون"

لا قلب.. لا تردد.. ولا رحمة!

ورغم صعوبة تعثرها برجال من أمثاله إلا أن شباك الصدفة لعبت دورها بدقة.. وليلة تليها أخرى وأخرى أفندت اتفاق مثمر للغاية..

هي تفوز بالخلاص من أنطوان وأيضاً نقوده, وهو ينال مبلغاً محترماً جداً من المال.

كل شيء كان مرتباً.. محدداً بدقة متناهية..

حتى ظهرت الحمقاء في غير موعدها!

- تأخرتِ

قالها بحدة وبنفاذ صبر, كان قد اتفقا أن تحادثه ومن هاتف مجهول الهوية بعد أن تنتهي من طوفان التحقيق..

ولكنها تأخرت.. وصاحبة النمش تلك تثير جنونه..

لها يومان تبكي كالطفلة دون توقف.. تغلق على حالها باب الغرفة وتنكمش على الفراش مرتعبة منه..

جيد.. ولكن مزعج!

- الأمر ليس بتلك السهولة.

زفرتها كانت حارة.. توازي تخلصها من حذائها العالي وملابسها الضيقة لتغرق نفسها في رفاهية حوض استحمام..

رمق بإزدراء الممددة بضعف فوق الفراش ليبتعد بالهاتف مكملاً:

- الأمر لا يخصني.. كنت حاضراً لتولي أمر أنطوان والتنفيذ بدلاً عنه لو تردد.. لا أكثر.

وبصرخة ربما رجرجت المياه حول جسدها جاء وجهها الأكثر قبحاً:

- اسمع جوش.. أنت لن تحصل على مليوني استرليني مقابل خبطة رأس واهية.. احتفظ بالفتاة حتى يتضح الأمر, فالشرطة تبحث عنها.

وأغلقت حتى دون أن تنتظر منه جواب..

اللعنة!

لقد رتبت كل شيء.. سيارة مجهولة وبطاقة جراج المبنى الخاصة بغرين كانت بحوزتها ليدخل جوش دون أن يلحظه أحد..

وهي من الباب الرئيسي تعمدت أن يلحظها الجميع.. زوجة منكسرة.. زوجة مجروحة.. وزوج دائم الاتهامات..

حتى وصل الأمر لمحاولة قتلها!

مسكين.. سيقضي نحبه خلف الجدران وتحصل هي على كل بنس من ثروته..

قضية مكتملة الأركان وتهاوى أحد أعمدتها بسبب.. حمقاء!

كانت ما زالت مختبئة بالغرفة.. منه,

هل سيقتلها؟!.. هل هو من قتل غرين أم الآخر؟

ومن يكون الآخر؟

طوفان من الأسئلة كان يدور بخلدها ولا تجرؤ على السؤال.. فلربما اصطدمت بقاعدة خامسة.

- أنتِ؟

ناداها لتنتفض على حينها.. اعتادت هذا في اليومين السابقين, يعطيها طعام ما ويصرفها كما نزلاء السجن.. تنأى بنفسه عن عينيه

فهو يخيفها بقدر لا تحتمله, تفكر في الساعات القادمة وفي مصيرها بين تلك الجدران, تبحث بعينيها عن مخرج.. باب.. نافذة..

لا شيء

الحديقة بسياجها المرتفع وكل نوافذ الغرف تطل عليها!

كان هو يوليها ظهره ويسكب بعض الطعام المحفوظ في قدر ما..

بعد يومين بدأ يلحظ ملامحها, عينان بنيتان صغيرتان, وخصلات ذهبية لا تحسن تصفيفها, تجمعها على شكل ضفيرة غير منظمة وتبدو أسوء مع حال احتجازها معه.. أنف صغير ووجنتان منمشتان بعشوائية مميزة.

وصوت رفيع..

يبكي ليل نهار..

له عامان لم يعتد بشري يجاوره في بقعته الخاصة والمختارة بعناية.. سوى من بعض النساء اللاتي يوافقن على الحضور بعصبة فوق أعينيهن.. المرأة تعشق التشويق..

ومنهن من تطلب بقاء العصبة حتى نهاية السهرة..

ابتسم ساخراً وهو يتذكر لحظاته القيمة المحروم منها قسراً بسبب خطأ ليس من شأنه وليست لديه أدنى فكرة ماذا سيفعل بها!..

صرخ فجأة حينما شعر بخطواتها:

- اقتربي.. لن آكلك.

والآن هو يزيد الأمر سوءاً فلا يكفي أنها محتجزة مع مجرم فهو سيهدي عقلها توقعات..

جاورته وكانت تنتفض من رأسها حتى أخمص قدميها لتجد بين يديها ملعقة خشبية وتذمر آمر:

- أعدي الطعام.. لست هنا لخدمتك!

وتركها مشدوهة ربما لدقائق حتى استوعبت التصاق مكونات الوجبة بسطح القدر الساخن فهرعت تحركه دون تفكير.. وكأنها تخشى العقاب..

وبعد دقائق أخرى كانت تتجه نحو الطاولة بصحن وملعقة لم تكن تعلم أهي لأجلها أم لأجله..

قرب الحساء الساخن من فمه لينظر نحوها باستهجان:

- ألن تأكلي؟

ردّت بعفوية وهي تنظر للأرض:

- كنت أظن هذا طبقي.

رفع هو حاجبيه في استهجان:

- أطهو لكِ على مدى يومين وتسكبين الحساء لكِ وحدك!

وحينها رفعت بصرها نحوه غير مصدقة, لتنفجر دون حساب:

- لقد اختطفتني وربما تنوي قتلي كما قتلت غرين.

لم تبدِ ملامحه تأثراً.. رفع ملعقة أخرى الحساء نحو فمه ليتابع بلامبالاة:

- أنا لم أقتل غرين.

ضيقت عينيها وزاد الغضب مع تذكرها للمشهد:

- الآخر.. شريكما إذاً؟

ثم ضربت يدها فوق المائدة:

- لم أرتح لتلك المرأة.

لتتبعها بضربة أخرى:

- كيف فعلتوها؟.. كيف أغوته ولمَ؟

ثم شردت:

- كيف اختطفتني؟

وشرودها الأخير لم يعمل حساب نهوضه المفاجيء ليركل الطاولة بقدمه اليمنى مما أفزعها لتلتصق بالحائط ولكن فات الآوان..

جذبها نحوه بحدة آلمت ذراعها وهذر من بين شفتيه الغاضبتين بقسوة:

- ثرثرة.. ثرثرة.. هل نسيتِ القواعد؟

حركت رأسها بنفي وقد أغمضت عينيها بشدة من الرعب..

كانت أنفاسه متسارعة, رغم أنها منهكة ورغم أنها ليست جميلة كما عادة ذوقه في النساء إلا أن هناك شيئاً ما يجذبه بها الآن

وكأنه مكون غامض يثير شهيته نحو طبق من الحلوى لم يستسغه يوماً.. أم ربما هو ضعفها..

دموعها..

ارتجافتها لمجرد ظهوره..

أو ربما هذا التملك المثير لها تحت سقفه!

أغمض عينيه ليدفعها بشدة نحو الحائط حتى آلمها أكثر وجاء تحذيره تلك المرة لا يقبل جدال:

- لو أردتِ النجاة هنا.. أغلقي فمك.

ثم زاد وهو يتركها ليخرج لحديقته الذابلة:

- ولو سمعت بكاءك على الفراش مجدداً.. سأجاورك!

وحينها تركها في انهيار!

الفصل الرابع

كان "إريك بالدوين" رجلاً يقدر أسرته بشكل روتيني للغاية.. زوجته تزعجه وابناؤه ضوضاء ولهذا اختار لنفسه غرفة خشبية صغيرة يحبس فيها حالة وأعماله..

ملف "مادلين دون بيكر" كان يؤرقه..

في المكتب يدعونه الفأر المشاكس.. هذا الذي يتجول برأسه ليفند مشكلة لكل حل..

ومع إريك لا تنتهي قضية..

ولكن هناك شيء ما يخص تلك المرأة

هي سعيدة.. نعم تلك السعادة المتراقصة خلف طوفان البكاء..

محظوظة بشكل مثير للشك..

كما أن أنطوان يؤكد أنها لم تضربه وأنه كان هناك رجل ثالث..

صرخ عقله:

- أنطوان لديه عدة اضطرابات نفسية.. لن يأخذ القاضي بشهادته.

ولكن الفأر برأسه يتذمر:

- أين الفتاة؟.. مساعدة غرين, كيف اختفت بملح البصر رغم إصرار الحارس رؤيتها تصعد؟

ونفس الحارس لم يلمح نزولها ولم يلمح هذا الثالث الذي يهذي أنطوان بشأنه..

ومرة أخرى كما العادة يُسقط قهوته ويصرخ ويسب ويحدث حاله ويجفف أوراقه وأفكاره الضائعة.. كما الشاهدة الأهم في قضيته..

يؤمن بشدة أن تلك الشاهدة قد تقلب الموازين.

******

ستهرب..

لا يوجد حل آخر..

لقد مرت ثلاثة أيام.. وهي تتحاشاه تماماً كما يتحاشها هو..

ولكنها حفظت روتينه..

يستيقظ في السابعة ليمارس تمارين هوائية مجهدة لمدة ساعة.. يشرب بعض الحليب ويفطر ثم يجلس أمام حاسوب ما لفترة لا بأس بها من الوقت..

لا يوجد تلفاز بالمنزل وبالتالي هي لا تعلم شيئاً عن تفاضيل قضية غرين, يأخذ قيلولة صغيرة بعد الغداء ثم يعود للإستيقاظ ليمضى الوقت بين حاسوبه وتمارينه..

وتشعر أنه مل للغاية..

وتكاد تكون واثقة أن احتجازها ليس قراره وحده..

ما زالت تجهل مدخل المكان.. لقد بحثت جيداً في فترة نومه ولكن لا شيء!

وبدا هو نائماً مطمئناً لثقته في فشلها..

ولكن اليوم سيختلف.. فهناك سلم لا بأس به سيمكنها من الوصول للسقيفة الحديدية

من يعلم ربما تكسرها وتهرب!

لم يكن الأمر سهل كما ظنت..

فبعد عشر محاولات تعلقت قبضتها أخيراً بقضيب حديدي.. كانت السقيفة مصممة على شكل قضبان متقاطعة ولكن بمسافة لا تكفي حتى لعبور الرأس, أمسكت قبضتها بالحديد تحاول تحركيه عليها تجد ثغرة ولكن لا شيء..

وزاد الأمر سوءاً عندما ضربت قدمها السلم رغماً عنها لتجد نفسها معلقة في الهواء..

كانت أنفاسها متسارعة.. والأرض لا تبدو قريبة لتقفز وحينها اتاخذت قراراً أسوء

حركت قبضتيها واحدة تلو أخرى لتتحرك على قضبان السقيفة حتى وصلت للمنتصف تماماً.. كانت تأمل الوصول للجانب الآخر حيت توجد طاولة عريضة قد تقفز فوقها دون أن تثير انتباهه, تعرق كفيها زاد من بطء حركتها كما أن الألم في ذراعيها لا يحتمل..

ستسقط حتماً..

وسط أنفاسها اليائسة والبكاء القادم لا محالة سمعت تصفيق حار وازى نبرته المتهكمة:

- جيد جداً.. وهل كنتِ تنوين التبخر من الفتحات!

تصلبت..

كان يقف وراءها مباشرة, يراقب جسدها اليائس والمعلق في الهواء, ركلت بقدميها في عشوائية علها تكتسب قوة كي تتحرك نحو موقع الطاولة ولكن لا جدوى..

هي استنفذت كل قواها بالفعل..

- اقفزي!

نبرته جاءت مفاجئة.. مجنون هذا الرجل..

يريدها أن تقفز ليتخلص منها بحجة حادث أليم!

تنهدت في يأس:

- أرجوك.. أريد السلم.

لم يبد تأثراً:

- أنتِ من وضعت نفسك بهذا الموقف.. فالتقفزي إذاً!

نظرت نحو الأرض في فزع.. ستكسر قدميها حتماً وحينها كان خياله قد اقترب ليتخطاها ويواجها من الناحية الأخرى وقد ضم ساعديه يراقب محنتها في متعة:

- ستسقطين عاجلاً أم آجلاً.. القفز سيعطي جسدك قوة.

ارتجفت شفتيها في يأس:

- أرجوك ساعدني.

رفع بصره نحوها بغموض:

- اقفزي وحينها قد أساعدك.

حركت رأسها في نفي مجدداً.. ولكن قواها تخور وليست يديها فقط.. جسدها كله متعرق..

لا تدرك كيف ستكون النهاية ولكنها لا تجرؤ على القفز, توسلت من جديد وبهمس واهن:

- أرجوك.. السلم.

والهمس ناقضه زعيق حاد منه.. أمر آخر:

- اقفزي الآن.

وهي لم تقفز... كانت يديها قد فقدت قوتها بالفعل فانسابت باستسلام مع صرخة خوف من الإرتطام..

ولكن ربما الإرتطام كان أفضل!

فبلحظة ما ارتاح جسدها بين قبضتين خففت سرعة تصادمه!

كانت تتنفس ببطء مع إدراك متدرج بأنها فعلياً بين ذراعيه

ملابسها العلوية انزاحت مع قبضتيه فأصبح ملمس كفيه خشناً فوق خصرها العاري..

عيناه ترمقانها بغضب رافض وفمه يضحك!

كانت على وشك إغماءه ولم تأتِ وكانت تود أن تترك هذا التوسد بين قوته ولم تستطع..

جملة أخيرة منه جعلتها تنتفض لتبتعد عنه بغضب.. وخجل..

- أنتِ متعرقة للغاية.. من الأفضل أن تأخذي حماماً!

وتركها ليتوجه نحو غرفته!

****

لولا أنه كان محقاً ما كانت ستخطو للحمام, ولكنها فعلاً أصبحت لا تطيق نفسها ولا حتى ملابسها..

شلال المياه الدافيء نقى أفكارها قليلاً,

هي بوضع خطير والآن تدركه..

لا مخرج..

لا سبيل..

لا معلومة..

ومحتجزها يقترب منها بشكل خطير..

وبلحظة لم تمانع!

طرقته على الباب أجفلتها لتسحب المنشفة على الفور دون أن تدرك أنها ابتلت معها تحت المياه..

وهو..

هو ببساطة فتح الباب ليرمقها بسخرية ثم يستدير متمتماً:

- ملابسك لا تصلح.. تعالي لترتدي شيئاً آخر.

بتردد جذبت منشفة أخرى ونظرة بحسرة نحو ملابسها التي كادت تتحول إلى اللون الرمادي

مع تعرق شديد على جوانبها, وفي الغرفة التي تنام فيها لمحت خزانة مفتوحة بها ملابس نسائية..

ليست ملابس!

هي قطع ما لأي شيء سوى غرض الإرتداء!

أهناك مقصد أوضح من هذا؟

ولا تدري كيف جاءتها تلك الطاقة لتخرج متلحفة بمنشفة فوق أخرى بعشوائية وازت خصلاتها المبتلة:

- لو كنت تظن أنك ستنال متعة رخيصة من رهينتك فأنت واهم!. أنا سأقتلك قبل أن تلمسني.

ضم حاجبيه وكأنها تتحدث عن شيء لا يفهمه ولكنها أكملت بانفجار:

- تلك الحقارة لن أرتديها.. أريد تنظيف ملابسي حالاً!

أمال رأسه لينظر للغرفة ثم تابع دون اكتراث:

- تلك هي نوعية الملابس النسائية الوحيدة التي أمتلكها..

ثم استدار ليضحك بخبث لم تلمحه:

- أو يمكنك ارتداء شيئاً من ملابسي!

صرخت رافضة:

- أنا لن أرتدي ملابسك.

وحينها استدار نحوها ليرمقها بوحشية:

- إذاً يبدو أنكِ لا تودين ارتداء شيئاً.

ومع خطوة مقصودة منه.. هرعت بفزع نحو الغرفة لترتدي أول شيء أمسكته يديها من

ملابسه وعلى وجهه هو ابتسامة جانبية أكثر مكراً فالأمر بدأ يصبح ممتعاً!

****

سيجارة تلو أخرى تلو أخرى..

تنحنح المحامي قبل أن يتفحص أوراقه من جديد:

- آسف مدام مادلين.. الشاهدة مهمة للغاية ومكتب التحقيقات أوقف كل شيء ويبحث عنها.

سحبت شهيقاً محترقاً:

- ربما ماتت.

بهت وجه المحامي:

- لا.. لا.. ليس من مصلحتنا على الإطلاق.. الأمر سيتطور لجناية قتل حينئذ وقد يطولك اتهام.

ارتبكت:

- ربما هربت.. لا أعلم, ما مشكلتي أنا في اختفاءها؟!

رمقها الرجل بتفحص:

- سأقدر صراحتك مدام مادلين..

انتفضت لتنهض بتوتر ليس من شيمها بل صاحبها مؤخراً:

- صراحتي.. لقد كدت أتعرض للقتل بناء على هلاوس رجل غبي والشرطة تؤجل حمايتي حتى ظهور طائشة هاربة وأنت المحامي خاصتي تناقش صراحتي!

اعتذر الرجل:

- اهدئي مادلين.. اهدئي.

تهاوت في بكاء ماكر:

- أنطوان لو خرج سيقتلني.

طمأنها بحنكة:

- هذا أمر بعيد.

ثم تنحنح قبل أن يزيد:

- ولكن.. الوضع مرهون بأقوال الشاهدة.

****

الفصل الخامس

ترتدي قميصاً أسود فوق سروالاً واسعاً من الجينز..

دون السروال كانت ستبدو أفضل كثيراً

فالقميص قارب على ركبتيها بالفعل وجسدها سيبدو كريمي النكهة بداخلة مع بشر منسق من الشوكولاته المنمشة

رائع!

كان يهمسها لنفسه وهو يراقبها..

تبدو ممتعة

خصلاتها مجدلة حيث أنها لم تمشطها بعد الاستحمام وترتشف الحساء بحذر ينبهها ألا تنظر نحوه..

فهو يراقب وبتمعن..

فجأة صدح صوت هاتفه ليقطع السكون والنظرات..

ارتبكت فأسقطت بعض الحساء فوق ظهر كفها لترفع بصرها نحوه فوجدته ينظر نحوها

بجمود ليأمرها أن تغادر إلى غرفتها على الفور.

وغادرت متعثرة حتى أنها أخذت صحنها معها ثم عادت لتركه لتركض مسرعة..

وعلى الهاتف كان صوت امرأة أخرى

نقيض

"مادلين دون بيكر"

ملكة الجمال المفقودة بين جدارن أنطوان وثروته..

وتمردت الحورية لتنال الحرية ورزم أمواله.

- كيف حالك؟

كانت نبرتها متعجلة تفتقر للثقة الدائمة التي اعتادها منها, رد هو ساخراً:

- أنتِ أخبريني!..

زفرت بحرارة لتتابع بهمس حذر:

- هذا المفتش الأحمق.. يبطىء كل شيء.

انقبضت ملامحه:

- ماذا تعنين؟

أردفت:

- أوه.. يجب أن ترى انتفاخه وهو يستجوبني, يتحدث عن الفتاة وعن حقيبتها المتروكة!

لتتابع بحدة اكثر:

- هل تصدق هذا؟!.. اختطفت الفتاة وتركت حقيبتها!!

أغمض عينيه متحكماً في غضبه ليجبها بخشونة:

- آسف مدام مادلين.. أنتِ تصرخين من ظهورها المفاجيء وزوجك قارب على استعادة

وعيه.. تصرفت بسرعة ويكفي أنها خرجت في سيارتي دون أن يلحظها أحد.

تشدقت هي على الفور:

- بفضلي أيها الظابط السابق.. أم تُراك نسيت أنني من وفرت لك مفتاح مرآبه الخاص من البداية!

زفرته هو كانت حانقة, "ضابط سابق" هذا أمر أسقطه منذ زمن من فوق طاولة المناقشات

ولكن يبدو أنها تصر..

ثرثرت مجدداً:

- أنت تعرف جميع رجال سكوتلانديارد.. أخبرني عنه؟

ضم حاجبيه:

- من؟!

أجابت بمنطقية:

- محققي!

أجاب هو بتعجل:

- أنا تركتهم منذ زمن.. تغيرت أسماء كثيرة.

تعجلت هي تلك المرة بمقاطعة:

- إريك.. إريك بالدوين.

وحينها صمت..

بل تركها وأغلق الهاتف

لتخرج منه ضحكة هازئة..

فالقضية بيد شريكه السابق وعدوه الأول!!

****

- هيى إريك.. هل تود بعض الفطائر؟

تلك هي المرة العاشرة التي يقطع فيها شريكه العبقري الجديد سلسال أفكاره, ربما

عليه أن يجد لنفسه مكاناً بغرفة الأرشيف حتى يستطيع العمل..

كان مكتب تحقيقات سكوتلانديارد يتكون من خمسة طوابق ومكتبه الآن في الطابق الثالث..

خمسة وعشرون متراً مربعاً يتشاركها مع مكعب ممتلئ بالماء والثرثرة, من قبل كان مكتبه بالطابق العلوي ويتشاركه مع أحد أهم ضباط المؤسسة رغم صغر سنه

"جوش برينجتون"

القضية الأكثر جدلاً على مر الأعوام السابقة..

رئيس المؤسسة بنفسه تابعها وبشكل شخصي..

أكبر عملية فساد.. غسيل أموال وصفقة أسلحة مشبوهه وتورط رئيس محكمة ووزير سابق!

كل شيء كان مرتب..

وجوش.. آه جوش..

جوش كان متحمساً للغاية وهو.. هو الروتيني القلق على الدوام, فالأمر سيتطلب سحب عشرة ملايين استرليني من خزينة الدولة..

الطعم الذي استطاع به جوش التسلل لأحد أكبر رؤوس مؤسسات السلاح بالشرق الأقصى.. الخطة كانت موزونة تماماً.. وتورط رئيس المحكمة كان حتمياً, كل شيء محسوب بدقة..

ليختفي جوش فجأة وتتبخر النقود وتتم الصفقة بنظافة وبمساعدة الشرطة!

فضيحة سكوتلانديارد..

هرب جوش وحُكمَ عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام ودفع هو الثمن من تاريخه وبراعته التي كان يتحث عنها الجميع..

أصبح "إريك بالدوين" أضحوكة المؤسسة الذي خدعه شريكه ليخرج من الحكومة بأموال تعادل معاشهم جميعاً إن صح التعبير.

ضرب مكتبه بحدة مغتاظة أسقطت كالعادة قهوته فوق الأوراق ليجذبها وينظفها مع أفكاره وحقيبة الشاهدة المختبئة ومادلين الواثقة جداً وأنطوان بريء النظرات المتهم بجريمة قتل لا ينكرها

رغم أنه يصر على صدمته من مشهد خائنة!!

أنطوان لن يكسب شيئاً.. فهو سيكون مصيره السجن في الحالتين مع اختلاف مدة العقوبة..

ولكن مادلين

هي الرابحة والخاسرة..

إما بريئة مهددة وعُرضة للخطر من زوج مخبول, وحينها ستتطلق وتنال كل ثروته وفوق وسائد راحة قانونية للغاية أو مجرد خائنة ورتبت الأمر!

وحينها قد تواجه هي قضبان السجن بنفسها..

فقط تظهر ميرندا..

******

- ميرا!!

لا تعلم إن كانت سمعته جيداً.. منذ تلك المكالمة الغامضة وهو يتجبنها, الأمر لم يحتاج منها تفكير فقد كان جلياً أنها شريكته..

"مادلين"

تعطيه أمراً.. تهديه خبراً..

حسناً لا فرق.. فالقوي يأخذ أوامره من الشقراء الحديدية.

وودت أن تواجه.. تتحداه.. تخبره أنه ضعيف.. وأنها لا تخافه.. بل لا تقدره.. ولن تتوتر لنظراته نحوها.. وتلميحاته..

الواقع..

هو مجرم وهو رهينته..

ما سر تجميله؟

ربما وسيم.. جذاب.. قاتل دون رحمة..

ولكنه شقي.. وهي ضحيته..

وتسارعت دقات قلبها..

ماذا بعد وما القادم؟

هي سيقتلونها في الوقت المناسب؟!

هل سيموت ريتشاد هكذا دون ثمن؟..

توترت أنفاسها أكثر مع حدة صوته.. يكرر كلمته لتستوعب أنه يناديها!

- مير..

خرجت من الغرفة وكانت قد عادت لملابسها التي نظفتها من قبل..

مجرد قميص وردي على سروال رمادي بسيط..

وخصلاتها معقوصة خلف أذنيها..

ضفيرة غير مرتبة!

ووجه بريء للغاية..

رمقها بطرف عينيه وكان يفرد بالسكين بعض زبدة الفول السوداني على شريحة محمصة من الخبز.. أفرغ كوباً من اللبن ليناولها الطعام:

- أعددت لك إفطاراً.

وضعت الطبق على الطاولة وأجابته بجمود وجرأة تنظر نحوه تلك المرة

لا ارتجاف..

لا اختلاج..

لا اضطراب..

- لا أريد.

واستدارت لتتركه وهي تهمس بالباقي:

- منك شيئاً..

أوقفها بتملك عضلي قوي فوق مرفقها.. فاستدارت وبعينيها لمعة تمرد:

- اسمي ميرندا..

أجاب ببطء:

- أعرف.

ثم أردف بنظرة غموض:

- ولكنه طويل للغاية وأنا لا أحب الأسماء الطويلة.. مير..

ضيقت عينيها لتجازف معه غير مبالية:

- اسمي ميرندا.. وأود أن أعرف آخر أوامر سيدتك؟

برقت عيناه في دهشة غاضبة ولم تلحظ فأكملت:

- هه بما كلفتك الآن؟.. الإبقاء عليَّ رهينة أم قتلي كما قتلتم ريتشارد؟

لم تشعر إلا وخطواتها تعود للخلف مجبرة وهو يدفعها بقسوة حتى التصقت بالحائط وقد قيد رقبتها الضعيفة بين قبضته بسلاسة ولكن دون أن يخنق أنفاسها, همس بفحيح مضطرم:

- أنا لا آخذ أوامري من أحد.. أياً كان.

ليتابع وقد اقترب بفمه من أذنيها:

- أنتِ من هي تحت رحمتي.. لا تنسِ هذا؟

ثم عاد لينظر نحوها من جديد وهمسه أمام شفتيها:

- لا تثيري غضبي مير..

ثم مرر سبابته فوق وجنتيها المنمشتين:

- بدأت أشعر أنكِ تتعمدين هذا.

كانت ترتجف.. مرعوبة..

تخافه وتشاكسه كقطة حمقاء..

أمال رأسه ليقترب أكثر من عينيها وحينها قال بهمس:

- تكرهينني مير؟!

لم تجبه..

فقط رفعت بصرها نحوه بعنين مدمعتين, أنفاسها بها نكهة حليب بالفانيلا.. منذ ترك لها البراد لتختار ما تفضل وهي تقتله..

طفولية الاختيارات بمتعة رغم أنها لا تأكل سوى ما يسد رمقها..

اقترب أكثر وفي تلك المرة لامست أنفه أنفها الصغير ليكرر همسه ولكن ببحة قاسية:

- أعتقد أنه يجب عليكِ..

ثم تركها فجأة ليغلق باب غرفته.. وتبكي هي متهاوية مكانها!

****

الفصل السادس

كان ممدداً على الفراش يراقب سنوات مرت..

رجل غاب عنه, وأده وأغلق فوق جسمانه مائة صندوق

وبشكل ما.. تلك الخائفة بالخارج تعيده!

زم شفتيه مع ذكريات دمرت عالمه, حماس.. ثقة.. وطيش شاب كان الأفضل.

ليخرج هو المذنب الأوحد دون أن يملك دليل دفاع, حتى النقود المطارد بسببها ببساطة لم يرها يوماً

كانت لعبة فساد كبيرة.. أكبر منه ومن إريك الذي صدق خيانته على الفور!!

لم يكن أمامه سبيل سوى الهرب..

التبخر

وهذا ليس بصعب على ضابط شرطة ومحقق مخضرم.

والخطوة الثانية, أن يكون ما وصموه به.. ألم يُحكم عليه بالسجن وانتهى الأمر!

عمليات صغيرة كتلك التي رتبها لمادلين..

وخزينته بها معاش تقاعد لا يحلم به مديره نفسه.

هه حسناً..

فكر بها ساخراً

"الطيبون.. يخسرون!!"

وتلك القاعدة رقم خمسة.. مير.

****

هناك نساء لا يكفيها العالم!

دانتي يقول أنها خطيئة الطمع..

ثالث الخطايا المميتة كما أفردها في ملحمته الشعرية

"الكوميديا الإلهية"

كانت تمشط خصلاتها بشرود أمام المرآة.. تحاول أن تتصور الحياة لو تزوجت برجل مثل ريتشارد أم ربما جوش

كان الأمر سيكون ممل فعلى الأقل أنطوان أهداها ذريعة خيانته.

كانت متأنقة.. ترتدي ثوباً بلون فيروزي لامع وظهر عاري بسخاء..

رفعت خصلاتها في تصفيفة راقية ووضعت حمرة شفاه بنكهة الكرز, المحامي لديه خطة..

أم ربما فكرة..

كان رجلاً قاسي الملامح, في مجاله تعلم أنه الأفضل على الإطلاق ولهذا استئجرته وتعرف أنه دون ضمير ولهذا اختارته..

لم تكن هي الوحيدة المتأنقة على العشاء فقد تأنق بدوره..

حلة رمادية لامعة وربطة عنق سوداء بخيوط فضية رفيعة..

زجاجة نبيذ معتق وطاولة هادئة في سهرة صرفت بها الخدم

- هذا اللحم رائع.. مطبوخ بعناية.

قالها وهو يمضغ طعامه ببطء مستلذ فابتسمت لتجيب بثقة وهي ترفع مشروبها بتأنٍ:

- فريدريك هو أفضل شيف قد يحصل أحد عليه.. وهذا الطبق استغرق اعداده ثمانِ ساعات!

رفع عينيه نحوها ليبتسم بمكر:

- ربما لأن ضيفك مميز للغاية.

وابتسمت هي بمكر أكثر:

- وربما لأن لديه فكرة مميزة للغاية.

وكانت محقة, فهي احترفت قراءة الرجال..

ومحاميها المخلص بدا سيفعل أي شيء من أجل إنقاذ رقبتها فهو نفسه لديه أطماعه الخاصة بتلك الرقبة!

ارتشف مشروبه ببطء ثم سألها بنبرة واثقة:

- أين ميرندا؟

رفعت حاجبها الأيسر دون جواب فجذب قطعة حمراء من الكرز كانت تزين طبقه ليلتهمها بمتعة:

- ربما اختطفها أحد!

بدأ يجذب انتباهها فحركت عينيها في اهتمام ليتابع:

- دون بيكر على سبيل المثال!

ورقة البوكر.. الآس الرابح.. جنون الفكرة وسبيل تنفيذها, كانت تعلم أنها نالت الرجل الأفضل والآن اكتشفت أنه داهية

داهية تستحق جائزة..

بداية ليفند فكرته بكل تفصيلة ممكنة ستهديها أجنحة الثورة, وكامرأة تعرف جيداً متى وكيف تستغل مفاتنها.. تقتربت..

فعلتها من قبل وتفعلها الآن..

وهي صاحبة الشهد.. والشهد أنواع والتذوق ما هو إلا مجرد بداية

تشويق!

ابتعدت عنه بعد قبلة طويلة تخللتها تفاصيل ملهمة لتهمس بحرارة راضية جداً:

- فكرة رائعة.. يبقى التنفيذ.

****

الحياة تتطلب منا بعض الاختبارات

نخفق أو ننجو..

وتظل المثابرة متعة!

وفي تلك الجدران التي اختارها لنفسه كانت دوماً خياراته معدودة..

الفكرة الأكثر متعة هي تلك المتعلقة بحلم أزرق اللون يمثل هبة الابتعاد

الهروب من كل شيء.. قارب طويل بأشرعة بيضاء عملاقة ومحيط نحو المجهول.. المعضلة أن تذكرة خروجه ستتطلب ثمناً لا بأس به ومادلين أتاحت توفيره وبسخاء..

مقطوعة مميزة لتيرسين أهدته شروداً ممتعاً حتى أنه تصور رائحة البحر والغريب أنه رأى في حلمه القصير امرأة..

منمشة بخصلات ذهبية قصيرة وثوب كريمي فضفاض وتغمض عينيها خوفاً من موج البحر ولها رائحة أنفاس مميزة تشبه الحليب والعشب والليمون

قريبة جداً وتكاد تكون حقيقة!

لينتفض مع همسة وصوت واندهاشة وصدمة عينين تسللتا في الظلام نحو مجلسه وحاسوبه المفتوح فوق قدميه.. وخبر ميرندا يتصدر موقع خبري شهير..

لتبكي وترمقه بنظرة لوم لم يختبر مثلها من قبل:

- مكيدة من أجل الثروة.

واستدار وفي عينيه شرارة غضب من نفسه قبل أن تكون منها ليجذبها نحوه بذراع

واحدة في قسوة تلوم وتؤذي وتحذر وتخيف إن لزم الأمر وهي لم تكن ترى سوى تشويشاً اختلط بدمعها وذكرى دماء غرين على سجادته الأنيقة وهمس أخير قبل أن تهرب نحو غرفتها:

- أنت حقير.

****

وانتهى الحلم.. وتلك عادة الأحلام.

كان كيسه القطني قد اهتريء من قوة قبضاته..

لكمة تلو أخرى نحو كل قرار

وكل خديعة..

وكل خذلان..

وكل حرف رسم فوق أوراق ظالمة لينهي عالمه, والقتل هي سلعة مباعة أتت بالتدريب حتى أصبحت أمر اعتيادي لا يبالِ بهوية الضحية..

غرين.. أو غيره.. هي مجرد أسماء في طابور الحياة وهو ارتطم بفضل حظه في طابور خامس..

خطواتها المترددة عادت مجدداً ليهمس بقسوة رافضة:

- عودي لغرفتك.

خرجت نبرتها متحشرجة:

- لماذا ساعدتها؟

حرك شفتيه بتهكم:

- هل كنتِ تظنين أن خاطفك قديس.. مير؟!

أغمضت عينيها تلعن حماقة أفكارها.. في أيام مضت نحت كل أفكارها جانباً مكتفية

بمرور اللحظة ودوماً هي مميزة بكل تفاصيلها..

تحمل عبق مشاعر غامضة لم تنتبها من قبل وصوت رجل ينتقي كلماته ليبعدها أكثر فتجد نفسها تقترب..

خطوة مجددة..

تلو أخرى..

وأخرى..

ليستدير بعنف.. يوقفها بنظرة عين تجبر كل غزال أحمق أن يهرب من قرب الليث..

لا الغزال سيرضى بنفسه كوليمة ولا الليث سيخلع أنيابه!

رفعت عينيها باكية:

- أنا أكرهك.

حمقاء.. غبية.. فالحب هو أصل الكراهية..

أسوء انجذاب على مر التاريخ..

تأملها بعينين جامدتين ليتخطاها وفجأة قبض فوق يديها ليسحبها خلفه دون إرادة.. في البداية ذعرت ولكنها لم تقوى حتى على مقاومته وتوقفت أنفاسها حينما توجه نحو

دورة المياه ليخلع ملابسه العلوية ويجلس مستقيماً فوق حافة حوض الاستحمام ثم يشير خلفها بنبرة آمرة:

- هيا!

حركت شفتيها لا تفهم:

- ماذا؟

حرك رقبته بنصف دوران بطيء ثم أشار لموس حلاقة يستقر فوق قاعدة المرآة:

- ساعديني..

وضيق عينيه مشيراً إلى ذقنه وكأنه مزاح من نوع ما!

متجمدة هي دون حراك وما زالت عبراتها جاهزة على هفوة, رفع إصبعه مجدداً نحو سلاحه الحاد وتلك المرة بسخرية لاذعة:

- أنا أسوء مما تتصورين, مير.. والآن بصفتك رهينتي أريد بعض المتعة.. حلاقة ذقن هادئة وربما مساج فاخر..

تحركت خطوتين للخلف وقد تنمرت ملامحها تلك المرة فأوقفها بنبرة صارمة:

- ليس لديك خيار الرفض, مير.

ثم أكمل بهمس قاسٍ:

- ولا القوة.

تحركت أناملها الرفيعة لتجذب هذا السلاح الطولي العجيب المسمى بشفرة حلاقة..

قديمة جداً وكأنهم توقفوا عن صنعها منذ بداية السبعينات وكلاسيكية بشكل لا يلاءمه..

اقتربت مضطرة.. مرتكزة فوق ركبتيها وتمرر الرغوة البيضاء فوق وجهه وتمسك بالشفرة بتأنٍ كي لا تجرحه!

تكرهه..

ولن تجرحه!!..

أما هو فلم يحد نظره عن عينيها.. عن كل ملامحها وكأنه قصد الآن أن يختبر هذا القرب..

التحدي..

ربما لكليهما..

الحياة تتطلب منا بعض الاختبارات

نخفق أو ننجو

وتظل المثابرة متعة!

وانتهت بعض أطول جلسة حلاقة ذقن اختبرها في حياته..

عصفت به عن دون قصد..

وانتهت بكل براءة..

وكان بيدها سلاح حاد فوق رقبته لم تفكر قط في استخدامه!

ربما لأنها غبية لأقصى حد.. أو ذكية لأقصى حد..

مررت الفرصة وانتهزها هو..

وبعد أن تخلت عن الشفرة ,ومع أول استدارة كان هو.. وكانت قبلة.. وكان اختباراً لنفسه قبلها وفشل فيه بجدارة..

هو يريدها!!

الأمر يتعدى حد الإشتهاء.. إنه انفجار, وكأنه قد وجد نفسه معها شهقت بألم لتنجح أخيراً في التملص منه..

هربت وكان يجب أن تهرب وبأقصى سرعة وكان يجب أن يتركها..

بل يجب أن ترحل تلك الفتاة..

تختفي فوراً..

فهي تولد لديه مشاعر غامضة استطاع بجدارة أن يتخطاها فيما سبق, "الطيبون يخسرون مير"

هل تسمعينني؟

وكان يصرخ حتى أنه أخافها أكثر فلم تملك سوى أن تكتم شهقاتها وتجلس على الأرض خلف باب غرفتها تبكي..

ليس خوفاً منه ولكن خوفاً من تلك الهوة
الغامضة التي تنسحب نحوها معه..

****

الفصل السابع

أسوء الحلول هي تلك التي تجيئنا بعد أن تنحرف السفن!

- حضر حالك جوش.. سأخلصك منها!

ابتعد بهاتفه عن باب غرفتها, كانت ما زالت تشهق باكية رغم مرور ساعة على الأمر..

كيف لها بتلك القدرة على البكاء المتواصل!

واللعنة هو لا يفكر سوى بطريقة واحدة لتصمت.

جز على أسنانه وهو يحادث الأخرى:

- كيف؟

أجابته بجفاء:

- هذا ليس من شأنك.. فقط ستسلمها لرجلين أنا سأتدبر أمر معرفتك بهما.

وكأنه لم يسمعها, كرر سؤاله بحدة:

- ماذا ستفعلين بها مادلين؟

وأجابت هي بحدة امرأة تملك ملايين:

- سلمها للرجلين.. تستلم نقودك, سأحادثك لاحقاً لتحديد الموعد.

وأغلقت الهاتف, خطتها كانت بسيطة وحدس امرأة أخبرها أن جوش لن يفعلها..

هذان الرجلان لن يتوليا أمر قتل ميرندا فقط بل سيُكمل محاميها الخطة لتجد الشرطة الجثمان في أحد الشقق المملوكة لدون بيكر.

جريمة أخرى كاملة والثروة على الطريق.

ابتسم المحامي من خلف ظهرها ليباغتها باقتراب ذكوري خالص موزعاً بضعة قبلات فوق جيدها:

- اقتربنا؟

وتوترت شفتيها قبل أن ترسم ابتسامة كاذبة.. ابتسامة أفعى توزع مفاتنها وقت الحاجة وتبث سمها فيما بعد, لتهمس هي بثقة:

- بل وصلنا..

****

- ميرا؟..

- ابتعد عني.

- ميرا.. افتحي الباب.

- لا..

- ميرا.. ليس لدي وقت, افتحي الباب الآن.

بعد وقت ليس بكثير فتحت بتردد, عيناها كانت محمرة منذ البارحة.. في تلك اللحظة تحديداً كره نفسه..

فمادلين منذ ساعة واحدة هاتفته مجدداً لتخبره عن مكان التسليم, والخطة لم تكن تحتاج لتفسير أكثر..

كان يعلم أنها ستقتلها..

اقترب منها بجدية لتجد نفسها مسحوبة خلفه تماماً, فتح حاسوبه وأجلسها جانبه بعملية تامة..

أرقام تتكرر..

لا تفقه شيء..

أشار بإصبعه نحو رقم يحمل الكثير من الأصفار:

- هل ترين هذا الرقم؟

نظرت نحوه في حيرة فتابع هو دون أن يستدير:

- هذا ما ستجنيه مادلين اذا ما ثبتت على أنطوان التهمة.

ثم استدار نحوها ليكرر الجملة بشكل آخر:

- هذا ما ستجنيه مادلين إذا ما سلمتك إليها مير.

ثم نزل بإصبعه ليشير لرقم آخر, أصغر قليلاً ولكنه رقم جيد..

بل للغاية جيد.. تابع بنبرة مبحوحة:

- وهذا ما سأجنيه أنا.

ظلت متجمدة لوهلة تراقب الشاشة دون حراك..

اقترب منها أكثر وحينها انتفضت تنظر نحوه في شحوب:

- وهل ستفعلها؟

ظل يتأملها بدوره.. ثابتاً على نفس الوضع.؟

خصلات ذهبية متناثرة.. ثوب كريمي فضفاض, وموج البحر.

همست مجدداً بيأس:

- هل ستفعل..؟...

وانقطعت كلماتها مع قُبلة أخرى منه.. لم يكن انفجاراً كما حدث من قبل ولكنه كان تواقاً حد جنون رجل قرر أن يتشبث بامرأة معها هي فقط يستعيد إنسانيته.

ابتعد عنها بأنفاس متقطعة ولكن قبضته كانت ما زالت متشبثة بخصلاتها, يؤلمها قليلاً ولكنها لا تبالي..

وضع رأسه فوق جبهتها لينطق أخيراً وبمجاهدة:

- يجب أن نخرج منه هنا وفوراً.

رفعت عينيها نحوه تسأله بحيرة:

- إلى أين؟

وغاب هو ببصره لماضٍ ظن أنه انتهى ليجيبها بصوت هاديء:

- للمكان الآمن الوحيد الذي أعرفه.

.....

هتفت:

- ما هذا؟

كانت تعرف أن طريق الخروج غير مرئي ولكن غير موجود!..

كان يتوجه بها نحو السقيفة التي فيما يبدو هي فعلاً المخرج الوحيد..

رد بسخرية وهو يرفع السلم ليتسلقه:

- منزلي!

جاوبت وهي تحدق في المكان حولها:

- يا الهي دون باب!.. لقد كنت محقة.

ليبتسم هو بغرور:

- نعم.. الخروج من السقيفة!

القضبان الحديدية مصممة باتقان, سوى في مكان واحد.. عشوائي حد مصادفة لعينة ليكتشفه أحدهم..

قضيب غير ثابت يتم فصله ليفتح هوة لا بأس بها تكفي لمرور جسده خروجاً وعودة.. والطاولة لم تكن هناك من العدم.. هو يضعها تحت القضيب مباشرة لسهولة عودته.

رفع جسده خارج القضبان ليمد يده نحوها:

- هيا..

اقتربت منه ترفع ذراعها لتمسك به, همس:

- مير.. هل تثقين بي؟

وجاوبت بحماس امرأة عاشقة:

- لا أثق سوى بك.

****

- إيريك.. قم بتسخين اليخنة مجدداً فالولد جائع.

النساء هن النساء.. زوجة وزير منشغل أو حتى عامل نظافة أو محقق مخضرم له في المهنة أكثر من عشرين عاماً, ستظل تزعج رأسه بتفاهات عائلية لا تنضب.

كان يقف أمام الموقد يرتدي قبعته المنزلية المفضلة مراقباً زوجته لوسي تعاني مجدداً من

محاولة إلباس صغيرها ملابس ثقيلة وابنته الكبرى تحرق شعرها مجدداً بجهاز تصفيف كهربائي سيئ الصنع..

صرختها أفقدته تركيزه فأوقع القليل من الصلصة فوق ملابسه ليخرج من المنزل نحو الحديقة وغرفته الخشبية يسب ويلعن..

تلك القضية حقاً تفقده صوابه والشاهدة الوحيدة التي ستحقق له حدسه تبخرت وكأنها لم تكن..

الشاهدة الوحيدة تقف أمام منزله الآن وجوارها شبح من ماضٍ قاتم!!

- مرحباً إيريك!

لم يكد جوش يكمل جملته حتى شعر بقبضة قوية كادت أن تحطم فكه, الحقير العجوز ما زال يمتلك بعض القوة..

لجمت الصدمة ميرندا ولكنها استفاقت على صوت لوسي التي جاءت تصرخ بزوجها ومرحبة بجوش في نفس الوقت!

ضمت حاجبيها تنظر للجميع وشعورها يخبرها أن جوش أحضرها لمنزل مجانين.

- أنت حقير!..

- وأنت وغد!..

- ببساطة دمرت كل تاريخي.

- وأنا عالمي تدمر وأنت تقف لتشاهد.

- أنت من سرقت أموال القضية..

- وأنت ببساطة صدقت!

- كفى!!

كانت الأخيرة كلمة لوسي التي أوقفت الصراع المحتدم بين الرجلين, بل على الأصح الزميلين السابقين.

اقتربت لوسي من زوجها لتهمس بذات الكلمة مجدداً:

- إيريك.. يكفي.. ماذا أخبرتك من قبل!

لوى إيريك شفتيه بسخرية:

- ها.. ثرثرة النساء.. جوش بريء.. جوش لم يفعلها..

رفع جوش بصره نحو صديقه ببأس:

- ربما هي ثقة لم أنلها من رجل كنت أظنه صديقي.

ساد الصمت بعدها طويلاً, تنهدت لوسي بحزن لتقترب من جوش مربتة على كتفه وهي تنظر نحو جوش بنظرة آمرة:

- نحن هنا الآن لنسمعك جوش.. إيريك هنا الآن ليسمعك ولا شيء غير ذلك.

لم تظن ميرندا أنها ستتعرض لكل تلك الأحداث حينما اختارت غداءً خفيفاً بمطعم البيغل المجاور..

لم تظن أن جوش الذي اختطفها بكل شراسة هو نفسه الضابط المطارد بظلم مجحف تعرض له على مدار سنوات..

ظلم ولّد مجرم في غضون سنوات بسيطة..

ضرب إيريك بقبضته على المائدة:

- الحقير فرانك..

وكان يقصد رجل ذو نفوذ في الحكومة..

- هو من رتب كل شيء.

رفع جوش بصره نحو صديقه:

- الأمر كان أكبر مني إيريك.. وأنت ببساطة صدقت!

رفع إيريك صوته مدافعاً عن نفسه:

- أنت هربت جوش.

وحينها انفعل جوش ليستقيم زاعقاً بحدة:

- ماذا أردتني أن أفعل؟.. ضابط صغير يواجه مكيدة محكمة من ثلاث رجال كلهم بمناصب عظمى بداية من سكوتلانديارد حتى وزارة العدل. الصفقة كانت ستتم إيريك بسجني أو بدونه نحن كنا مجرد كبش فداء لتمرير الخسارة الوهمية وليس أكثر

وحرك إيريك فمه مستهزئاً:

- والأموال تحولت لمصارفهم حتى قبل أن تتحصل أنت عليها.

زفر جوش بضيق ظلم كان يظن أنه قد تخطاه ليحرك رأسه مسرعاً ويقترب من إيريك هامساً بما يوده بحق:

- تلك ليست قضيتي الآن.. ما يهمني هو وضع مير.

نظر إيريك لصديقه باستغراب:

- مير!

لعق جوش شفتيه وكان دوماً ما يفعل هذة الحركة حين يهتم بأمر ما, رمقه إيريك بتفحص من تحت عويناته ليهمس بمكر:

- تحبها؟

رفع جوش رأسه ليبتعد عنه ويتجرع بعض الماء البارد دفعة واحدة ثم أجاب بجدية:

- أنا فقط أريدها سالمة.

هز إيريك كتفيه:

- أنا أيضاً فهي تميمة حظي بتلك القضية.. ولكن..

استدار نحوه جوش باهتمام:

- لكن ماذا؟

نظر نحوه إيريك بتمعن:

- ما دورك أنت في القضية؟

وحينها نظر جوش نحو الغرفة التي دخلت فيها ميرندا مع لوسي ليعود نحو صديقة بنظرة ثابتة:

- سأخبرك كل شيء.

****

الفصل الثامن

كانت ميرندا تجلس في قلق واضح في انتظار نتيجة المقابلة بين جوش وإيريك, بداخلها تساؤلات..

هل سيسلمه إيريك؟

هل سيذهب جوش للسجن لأنه قرر حمايتها؟

ولم تكن تدرك أن تساؤلاتها جميعاً تدور بشأنه, أجفلتها لوسي حينما قررت التسلل لشرودها قائلة بصوت قوي:

- لا تقلقي.. جوش سيتدبر أمره.

ابتسمت لها ميرندا في اضطراب وحينها أكملت المرأة حديثها:

- إيريك رجل أحمق لا أحد يحفظه مثلي أنا زوجته ولكنه لن يؤذي جوش.. لن يفعلها.

لم تكد تتم جملتها حتى سمعتا سوياً صوت ضربة قوية كانت يد إيريك على المائدة وهو يزعق بجوش تلك المرة وكأنه ابن عاق:

- هل جننت أيها الأحمق؟!.. ماذا فعلت بنفسك؟.. بماذا تورطت أيضاً في السنوات السابقة؟

تحاشى جوش ردة فعله لينطق بحدة بما يهتم به بحق:

- هذا ليس موضوعنا الآن إيريك.

فتح إيريك فمه غير مصدق:

- وما المهم بنظرك أيها المتحذلق؟

تنهد وهو يلمح خروجها من الغرفة مرتعبة من صوت عراكهما لينطق بكل هدوء يمتلكه:

- مير.

****

لوسي امرأة طيبة وحكيمة أيضاً, تدخلت بحدة بين الرجلين لتنهي النقاش ويلتف جميعهم حول طاولة العشاء..

بدا إيريك رجلاً قوياً ولكنه يختار الصمت إذا ما تحدثت امرأته..

رغم كل الأحداث السيئة المحيطة بها وجدت نفسها تضحك..

تتذكر قلة حيلة جوش بدوره أمام أوامر لوسي التي جعلته ينهي طبق اللحم خاصته عن آخره وكأنها أم موبخة

كم كان يبدو رقيقاً وهو يغمز لها بشقاوة كي تنهي طبقها بدورها قبل أن تقتلها لوسي, شعرت به مختلف جوارهم.. بسيط وهاديء في انفعالاته وكأنه كان يشتاق لعائلة!

عائلة تقودها امرأة خبيثة جداً فهي لم توفر لهما فقط غرفة واحدة ليبيتا فيها سوياً بل أعطتها فستان قطني للنوم يخص ابنتها!..

- ألم تجد أقصر من هذا!

همستها لنفسها في سخط وقد احمرت وجنتاها بالفعل حينما انتهت من ارتداءه..

ثوب أزرق فاتح بطول يتعدى فخدها بلاشيء تقريباً.

شهقت وهي تحاول أن تجد لنفسها بديلاً أو تعيد ارتداء ما جاءت به ولكنه وجوده على باب الغرفة توقف مع الزمن..

تقدم خطوتين ليغلق الباب خلفه دون أن يحيد نظره عنها ليهمس بضياع:

- ماذا تفعلين بي؟!.. هل تدركين خطورة ما تفعلينه بي مير!

عادت إلى الوراء خطوتين وقد غابت عنها الكلمات.. تراقب تقدمه نحوها حتى التصقت بالحائط والتصق هو بها غير مبالي, شهقت:

- إنها لوسي.. يجب أن أستبدل الثوب.. إنه غير مناسب..

كانت تتلعثم بالكلمات وقد فقدت قدرتها على التركيز تماماً, ربما لأنه قريب للغاية.. أقرب مما تحتمل..

مال بشفتيه قرب شفتيها ليهمس ببطء:

- أنا أراه رائعاً..

تقابلا حاجبيها لتنظر نحوه في محاولة للتحدث, كانت مجرد محاولة:

- حقاً!.. ألا يجدر بي..

وتلك المرة المقاطعة اكتملت كما يشتهي.. كان اجتياحاً كامل.

****

- جوش؟..

- حبيبتي..

- لن أذهب.. لن أشهد جوش..

كانت مستلقية بين ذراعيه, توليه ظهرها ويحيطها هو بكل آمان ممكن.. يحتويها بنية رجل لا ينوي هجران.

زفر ببطء رسم به أنفاسه فوق نمش ظهرها العاري لينطق بتنهيدة قوية:

- ستذهبين مير..

استدارت نحوه وحينها لمح بعينيها الدموع, حركت وجهها ترفض:

- لا.. حينها ستلاحقك الشرطة..

ابتسم ساخراً:

- الشرطة تلاحقني من قبل أن اصطدم بك يا جميلة.

وملس فوق خصلاهها برقة, أمسكت يده لتضعها فوق وجنتها مغمضة عينيها بحالمية:

- أنا أود أن أكون معك.

حالميتها منعتها من مشاهدة تلك النظرة الغامضة التي اجتاحت عينيه.. آمانها ليس بجواره, آمانها بشهادة الحق لتنتهي من تلك القضية وتعود لعالمها الهاديء..

يجب أن تعود لعالمها الهاديء..

نامت بين ذراعيه مطمئنة واستيقظت وحيدة..

وحيدة على رسالة خطية منه كتبها ورحل..

" اشهدي بما حدث مير.. فلا فائدة من إنقاذ رجل هارب"

****

هل هي حماقة رجل وجد الحب فقرر الهروب, أم هي تضحية مبالغة فيها لأنه أراد الحماية؟!

موسيقى تيريس, خصلاتها الذهبية.. ثوبها وقارب البحر, هناك شيئاً غير ملائم..

فتلك نهاية مثالية فوق العادة!

الرجال مثله لا ينتهون مع فتيات مثل مير.. هي تستحق الأفضل.

وربما الأقل صخباً..

تنهد وقد أحرق سيجارة, هو لا يقترب من التبغ ولكن في تلك اللحظة يشعر بالاحتراق.. يود العودة إليها واعتصارها بين ذراعيه والهروب بها ومعها لا يبالي..

ولكن.. هي لا تستحق هذا الطوفان..

دخان تبغ آخر وهاتفه ينير من جديد, إيريك بالطبع يبحث عنه..

ربما يظن صديقه العجوز أنه سيعود لإثبات براءة غير موجودة..

أجاب أخيراً بعد يأس وهو يدعو ألا تكون هي على الهاتف, فحينها سيفقد كل مقاومة..

وكان أسوء ما يظن أنه سيسمعه

- النجدة جوش.. لقد اختطفوا ميرندا.

****

قطار محلي سريع.. رجل بجسد ضخم وآخر ببدلة أنيقة أما المرأة فتخلت عن تنورتها الكلاسيكية الضيقة واستبدلتها بسروالٍ جلدي رفيع فوق قميص أبيض دون أكمام.

اقتربت من الفتاة الغائبة عن الوعي لتحرك رأسها يميناً ويساراً ثم استدارت نحوه بابتسامة شيطانية:

- رائع فيكتور.. بل أكثر من رائع.

نظر نحوها المحامي بغرور ليهمس بتشدق وهو يراقب مزارع الريف الإنجليزي من النافذة:

- صديقك هرع بها على الفور نحو منزل إيريك.. كان حدسك على حق.

لمعت عيناها وهي تراقب ملامح ميرندا الملقاة على أرضية العربة لتستقيم بعدها لتجاوره وهي تراقب انعكاس وجهها في المرآة بثقة:

- لا يوجد حماقة توازي خوف رجل عاشق.

مسح ظهر ساعته الثمينة بيده ثم سألها بجدية:

- كم تبقى على وصولنا؟

ابتسمت بتملك امرأة لا يكفيها العالم:

- ساعة.. ساعة واحدة.

ثم استدارت نحو الفتاة التي كانت بدأت تتأوه في إشارة لاستعادة وعيها.. تستعيده أم لا..

ليس هناك فرق..

فقريباً جداً ستجدها الشرطة مقتولة في أحد المزارع المتطرفة لحماها العزيز

"دون بيكر"

****

وإن كان للقطار سرعات متعددة فالبرق له سرعة واحدة

التهمت دراجته النارية الأسفلت دون رحمة.. يفكر يفكر ويسب ويشتم ويلعن ويود العودة بالزمن نحو سجنه..

غبي..

كررها لنفسه على مدار الطريق.. فلولا غبائه وعاطفته المفرطة كانت ستكون بأمان في جدرانه.

- كيف حدث هذا إيريك؟..

صرخ بها وهو يرد اللكمة لصديقه..

مرة.. واثنان.. وثلاثة..

ثم صرخ:

- كيف فقدتها؟

أمسك إيريك بقبضته الرابعة:

- اهدأ جوش.. اللعنة.. اهدأ..

توقف وأنفاسه تتلاحق بيأس.. كانت بين ذراعيه.. كانت معه في تلك الغرفة وهو من تركها بكل حماقة.

اقترب منه إيريك يحتوي غضبه:

- سنجدها.. اهدأ جوش.. سنجدها..

حرك جوش رأسه في غضب مكتوم وقد ضم قبضته بانفعال:

- اللعينة مادلين.. سأقتلها..

وخبط بقوة فوق المائدة حتى كاد أن يشطرها نصفين..

أغلق إيريك الباب ليحجز لوسي والأولاد بعيداً عنهم خاصة بعد الذعر الذي تعرضوا لها مع

هجوم الرجلين المسلحين على المنزل واختطاف ميرندا..

اقترب من صديقه يواسيه وبذات الوقت يتحدث بحكمة محقق مر على أمثاله الكثيرات مثل مادلين:

- مادلين لن تؤذها جوش.. مادلين ستستغلها وهذا يعني أنه ما زال لدينا وقت.

.....

الفصل التاسع

المقولة صادقة..

ليست هناك جريمة كاملة..

مادلين رتبت كل شيء بحرفية أعضاء مافيا, ولكن ظهرت ميرندا من العدم..

وفي المرة الثانية رتبت الأمور بدقة أكبر.. مزرعة متطرفة لدون بيكر هو لا يهتم بها كثيراً...

مجرد حارس عجوز سيغيب بخطة محكمة عن المكان لساعة واحدة...

ميرندا ستصل هناك ويقتلها رجال فيكتور بدم بارد ويختفوا قبل عودة الحارس وفي اللحظة الحاسمة ستصل الشرطة..

نعم كل شيء محسوب بدقة وبعقل محامي داهية لا يقبل الخسارة..

سن قوانين اللعبة وأعماه القدر عن ملاحظة ثغرة واحدة

ثغرة بسيطة جداً..

وهي أن مداخل ومخارج محطة يوستن كلها مراقبة بالكاميرات.

****

لم يصدق إيريك نفسه عندما قفز موظف الاستعلامات بانفعال يصرخ على الهاتف:

- وجدتها سيد بالدوين.. وجدتها!

انتفض إيريك على الفور ليقترب منه جوش على عُجالة وهو يسجل آخر مكان شوهدت فيه "مادلين دون بيكر"

محطة قطارات يوستن لندن..

وضع إيريك الخريطة أمامه بعد أن تحدث مع موظفي المحطة يسند بأحد أقلامه علامات متتالية من التي يمر بها القطار..

- القطار يقف هنا.. وهنا.. وأيضاً هنا, كلها مناطق متطرفة وبلدات صغيرة..

همس جوش وهو يمر بأصابعه على الخريطة:

- أين تنوي الذهاب بها؟!

كان إيريك ما زال يتحدث ويستجوب العديد من الموظفين فحسب ما جمع من معلومات مادلين استقلت القطار وحدها..

ونهاية القطار تصل حتى مدينة مانشستر والمفارقة أن هناك اليوم مباراة

حجة غياب رائعة!..

صرخ أحد الموظفين وكأن حدسه أخبره أنه اكتشف شيئاً هاماً:

- أنتم تتحدثون عن مادلين دون بيكر؟.. مزرعة دون بيكر تقع على نفس الخط.. الأمر لا يستغرق نصف ساعة حتى تصل لها من هنا.

وأشار لنقطة على خط القطار حيث يتوقف في أحد البلاد المجاورة.

نقطة جعلت عينا جوش تلمع بتوحش وهو يسأل أحد الموظفين:

- هل هناك عربات تخزين بالقطار؟.. أي عربات تسمح بتسلل مسافرين دون أن يلمحهم أحد؟

رفع الرجل كتفيه بجواب بديهي:

- الحقيقة نعم.. ثلاث عربات.

ضرب جوش قبضته على المائدة وقد صور له عقله ما قد تنتويه مادلين ليزعق على الفور:

- يجب أن نتحرك الآن إيريك.. ليس لدينا وقت.. إيريك نحن نحتاج طوافة.

على مساحة خمسة ألاف متر مربع تقع مزرعة أحد أساطير المال التي ستمتلك منها قدراً لا بأس به قريباً..

نظر فيكتور حوله غير مصدق وهو يتأمل المساحة الشاسعة حوله

كيف يترك مكاناً كهذا دون حراسة!

ارتدت نظارتها الشمسية لتلوي شفتيها بغرور:

- هذا مجرد لا شيء بالنسبة إليه.. فيكتور.

ونطقت فيكتور باستهزاء بين.. حسناً هو فوت لتلك المرأة الكثير ولكن فقط تنتهي الخطة كما يريدا وحينها سيمتلكها هي.. والمال..

وكما كانت السيارة تلتهم الطريق دون تأنٍ.. في السماء حلقت طوافة مسرعة تقل محقق مخضرم من دهاليز سكوتلانديارد وآخر متخفٍ تحت ظل لا يخصه..

اي أسم وأي وضع لا يهم..

ما يهم أن يجدها..

تحركت ميرندا خارج السيارة بدفعة قوية من أحد رجال فكتور..

مادلين تشعل سيجارة وتطالب بسرعة وأحدهم يدفعها نحو حظيرة مهجورة لينهي الأمر..

مجدر رصاصة ستنهي الأمر وفي موقع الجريمة المطلوب..

وفجأة توقف كل شيء..

صوت غير مألوف وطوافة شرطة تقترب!

ولكنها تحوي رجل قد تكون الشرطة أرئف حالاً بهم منه..

وهمستها تنطق باسمه حينما رأته..

جوش!

لم تتصور مادلين أن الأمر سيتطور بتلك الطريقة.. وابل من الرصاص تبادل به طرفان وفيكتور يحاول الهروب نحو السيارة تاركاً إياها هي ورجاله.

حينما أيقنت أنه لا سبيل قفزت بثقل جسدها على أحد جوانب سور حجري محاولة التسلل

بعيداً عن إطلاق النار وميرندا المسكينة زحفت ببطء كي تختفي داخل الحظيرة.

الطوافة لم يكن بها سوى إيريك وجوش وقائدها..

استطاع جوش أن يقفز من الطوافة حينما كانت على مسافة قريبة ليسقط فوق أحد الرجلين موجهاً لكماته نحوه بقسوة..

رصاصة غادرة كادت أن تصيبه لولا تصويب إيريك الذي نجح أخيراً في اقتناص الآخر.

وصل جوش لها أخيراً ليجدها منكمشة على نفسها في الظلام.. تخشى الخروج وتخشى أن يكون قد أصابه مكروه بدوره.

احتضنها بقوة:

- مير.. هل أنتِ بخير؟

أومأت برأسها باكية.. ملس على وجهها بأصابعه:

- هل آذاكِ أحدهم؟.. هل آذتك اللعينة؟

حركت رأسها تنفي وما زالت على نفس البكاء حتى انفجرت فيه ضاربة كتفه:

- لقد تركتني.. كيف تتركني.. كيف؟

قرب رأسه منها ليستند على جبهتها:

- لن أتركك مجدداً.. أعدك.

- كاذب مجدداً.. ستتركها الآن عزيزي لأن الشرطة على وصول..

استدار جوش ليلمح إيريك صديقه يقف مستنداً على الباب الخشبي للحظيرة وعلى وجهه ابتسامة ساخرة..

اقترب منهما لينظر نحو ميرندا الجالسة على الأرض وجوارها صديقه العاشق:

- يجب أن ترحل الآن جوش.. الشرطة على وصول.

نظر جوش نحوه مجادلاً:

- ولكن..

همس لهما إيريك بجدية لكنها لا تخلو من سخرية الموقف:

- لقد قدمت لك مادلين أكبر خدمة.. تدبرت هي وفيكتور أمر إبلاغ الشرطة من مجهول عن وجود ميرندا بمزرعة دون بيكر.. المضحك

أن الشرطة ستجد كلاهما معها لتثبت عليهما التهمة.

رفعت ميرندا حاجبيه تستوعب الأمر وفجأة بعد تفكير لم يأخذ منها أكثر من خمس ثوان نطقت بطلب واضح:

- يجب أن ترحل جوش.. الآن.

****

قدميها تعافران لتصل إلى نهاية السور..

تحطم كل شيء.. انتهي.. غباء.. حظ..

وحقير متأنق قفز بسيارته ليهرب قبلها ولكن..

النتيجة واحدة

في انتظار كليهما كانت الشرطة.

بعد ثلاث اسابيع..

محكمة..

مادلين خلف القضبان.. وجوارها فيكتور, المحامي الذي لا يستطيع إنقاذ نفسه..

تشهد ميرندا بكل تفصيلة وكل ما حدث..

سوى من تبديل بسيط.. أنيق..

ويستحق المقايضة..

فجوش ليس له وجود بالحكاية..

بل لم يختطفها أبداً..

ومنذ البداية اختطفها رجل آخر..

يدعى فيكتور!!

بل منذ البداية أقرت أنها كانت بالمزرعة تحت عين مادلين وفيكتور

انتهت القضية.. ومادلين خلف القضبان حتى تلمح بياض شعرها.. وأنطوان بأكثر حظ امتلكه انتهى في مصحة نفسية.

اقترب منها صديق قديم.. كلمة واحدة قالها إيريك:

- بلغيه سلامي.

لتبتسم هي بثقة وشغف رؤيته من جديد:

- سيحدث.

****

الخاتمة

- ما هذا؟

- منزلي!

- يا الهي دون باب!.. لقد كنت محقة.

- الخروج من السقيفة!

اقتربت أكثر.. نفس المكان الذي دخلته مختطفة ورحلت منه عاشقة, السقيفة والحديد المتقطع..

الثغرة..

لم تخبره بموعد قدومها..

لم تكن هناك وسيلة اتصال, تلك كانت شروط إيريك لحمايته..

بل هو من حدد لها موعد ملاقاته حينما تأكد أنها ليست تحت المراقبة..

"جوش.. لقد افتقدتك"..

همستها وهي تتسلل للمكان كما حفظته.. جدار فآخر, تسلق خفيف ضمنت قدرتها عليها وارتدت سروالاً مناسب من خامة الجينز وحذاءاً ثقيلاً..

ليسا بالمظهر المناسب لموعد عاشقين!

ضحكت ساخرة حينما وصلت بالفعل لغرضها, تسللت للنقطة التي حفظتها وكما فعل هو من قبل.. ضغطة خفيفة على أحد الجوانب الحديدية فتحت الثغرة لتفصل القضيب وتمر بسلاسة..

تنهدت بانتصار لم يكتمل..

فهي عملت حساب كل شيء ونسيت أنها ما زالت معلقة بقضبان السقيفة فلا توجد طاولة في مكانها ولا سلم ينقذها!..

- اللعنة!

تمتمتها بغيظ.. لقد بدل مكان الطاولة!

- أنتِ من وضعتِ نفسك بهذا الموقف.. اقفزي!

شهقت بقوة ثم عادت لتتخذ أنفاسها بصوت..

شعرت به يتحرك حتى أصبح مواجهاً لها:

- هيا.. اقفزي الآن..

كانت يديها قد بدأت تؤلمها كما المرة السابقة.. تتعرق وبشدة, همست بمشاكسة أخيرة:

- ألن تحضر لي سلم؟

وحينها رفع عينه نحوها بمكر واضح:

- هيا.. أنا أرتب منذ أيام لتلك اللحظة!

أغمضت عينيها لتترك نفسها فجأة وكان هو في انتظارها, التقطها بين أحضانه وتلك المرة

حينما انحسر قميصها لم يتركه بل أكمل الأمر ليخلعه تماماً..

أخذت أنفاسها أخيراً من قبلته التي بدت لا نهائية:

- هذا مكان لن أستطيع منه الهروب.. أبداً..

ليهمس هو أمام شفتيها دون أن يتوقف عن تقبيلها:

- الآن أنتِ رهينتي.. للأبد.

تمت بحمد الله